

أضواء البيان

@ 56 @ ضرب لهذه الأُمَّة الأمثال في هذا القرآن العظيم ، ليتفكّروا بسببها ، وببَيِّنَاتٍ أَنها لا يعقلها إلا أهل العلم ، وأن اللّٰه يهدي بها قومًا ، ويضلّ بها آخرين . . .
وهذه الآيات الدالّة على ذلك كلّها ، فمنها قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْمَلُونَ لِنَاكَ وَأَنْزَلْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَهُكَ بِالْحَقِّ وَمِنْ رَّبِّهِمْ الْوَقْدُ } وقوله تعالى : { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } ، وقوله تعالى : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبَ لَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } ، وقوله تعالى : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبَ لَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } ، وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاذْكُرُوا لَهُ } ، والآيات الدالّة على ذلك كثيرة معلومة ، والعلم عند اللّٰه تعالى . { وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطْرَتْ مَطَرًا سَوِيًّا أَفْلَحُوا يَكُونُوا يَرَوْنَ نَهَايَ لَوْلَا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا } . أقسم جلّ وعلا في هذه الآية ، أن الكفّار الذين كذبوا نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ، وهو أن اللّٰه أمطر عليها حجارة من سجيل ، وهي سدوم قرية قوم لوط ، وهذان الأمران المذكوران في هذه الآية الكريمة ، وهما أن اللّٰه أمطر هذه القرية مطر السوء الذي هو حجارة السجيل ، وأن الكفار أتوا عليها ، ومروا بها جاء موضحًا في آيات أخرى . .
أمّا كون اللّٰه أمطر عليها الحجارة المذكورة ، فقد ذكره جلّ وعلا في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { فَجَعَلْنَا آلِيَّهَا سَافِلِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا زَلِيلًا } وَجَارَةً مِّن سَجِيلٍ { ، وبَيِّنَاتٍ فِي سُوْرَةِ (الذّٰرِيّٰتِ) ، أن السجيل المذكور نوع من الطين ، وذلك في قوله تعالى : { إِنَّ زَآءَ أُرْسُلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُذِرْهُمْ مِّنَ الْغَاسِقِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُشْرِقُونَ } ، ولا شكّ أن هذا الطين وقعه أليم ، شديد مهلك ؛ وكقوله تعالى : { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ } ، وقوله تعالى : { لَعَنَّا قَوْمَ لُوطٍ لَّفِي سَكْرَتِهِمْ } يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا آلِيَّهَا سَافِلِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ } .